ما المانع؟



قصّة
تغريد النّجار

رسوم
حسّان مناصرة


ما المانع

ما المانع؟

قصّة: تغَريد النَّجار
رسوم: حسّان مَناصرة



ردمك ISBN 978-9957-04-072-7
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية: 2013/8/2844

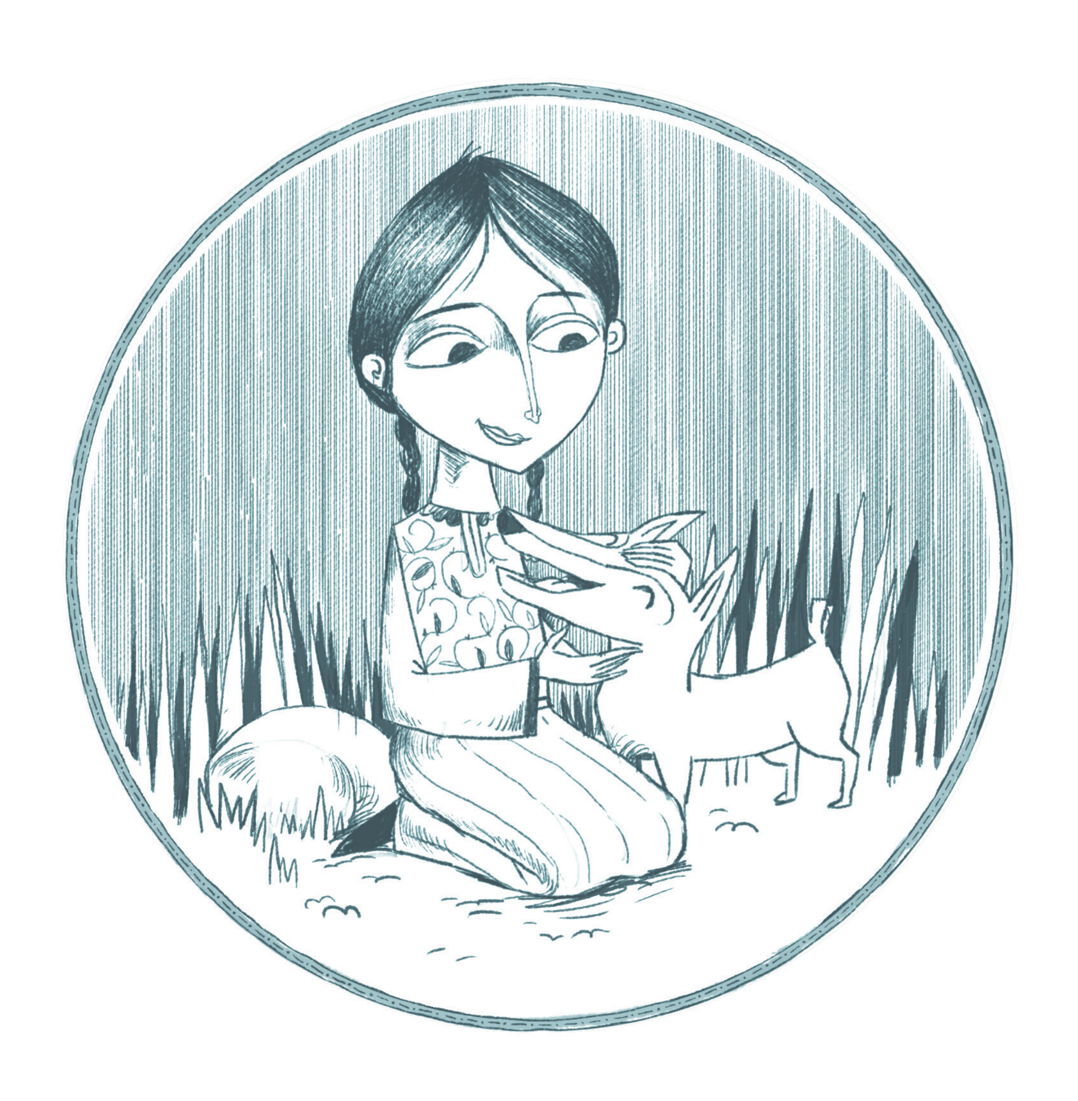
Why Not? (Ma Al Manea)

الطبعة الثانية: 2017

www.alsalwabooks.com



ما المانِع؟



قصّة: تغَريد النّجار

رسوم: حسّان مَناصرة





في قَديمِ الزَّمانِ... في قَرْيَةٍ صَغيرَةٍ هادِئَةٍ في فِلَسْطينَ اسْمُها
«لِفْتا»، كانَ يَعيشُ رَجُلٌ وَقورٌ أَرْمَلُ وَابْنَتُهُ الوَحيدَةُ سامِيَةُ.





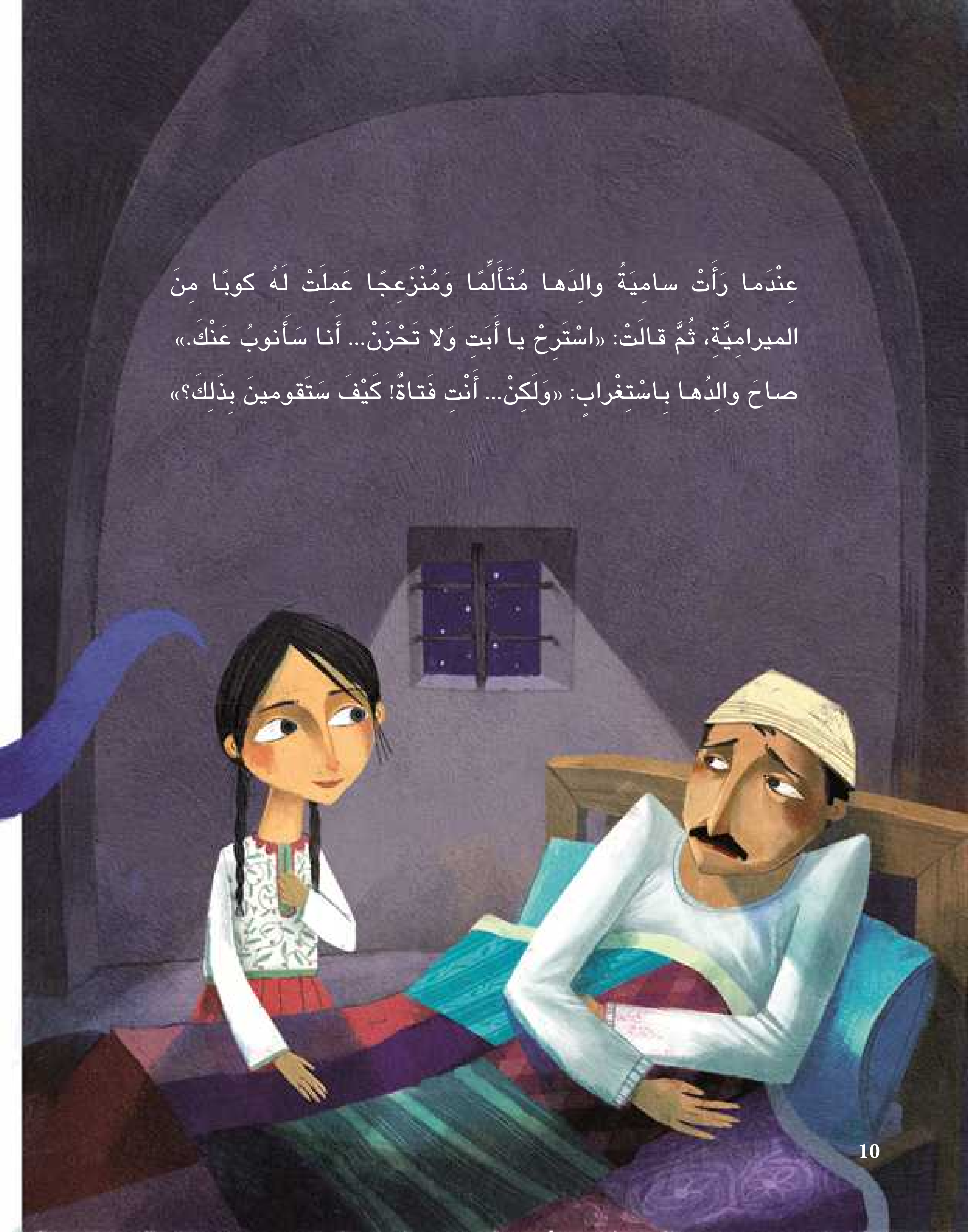
كانَ أَهْلُ القَرْيَةِ يَحْتَرِمونَ أَبا سامِيَةَ وَيُحِبّونَهُ؛ لأَنّهُ كانَ مُسَحِّرَ القَرْيَةِ الَّذي يوقِظُهُمْ للسَّحورِ كُلَّ لَيْلَةٍ في رَمَضانَ دونَ كَلَلٍ أَوْ مَلَلٍ. وَمُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ ثَلاثينَ عامًا لَمْ يَتَأَخَّرْ أَبو سامِيَةَ أَيَّ يَوْمٍ عَنْ أَداءِ عَمَلِهِ وَقْتَ السَّحورِ.



وَفي لَيْلَةٍ مِنْ لَيالي شَهْرِ رَمَضانَ الكَريمِ... وَقَبْلَ مَوْعِدِ السَّحورِ بِقَليلٍ
شَعَرَ أَبو سامِيَةَ بِأَلَمٍ في بَطْنِهِ.



حاوَلَ أَنْ يَنْهَضَ مِنْ فِراشِهِ وَهُوَ يَقولُ: «يَجِبُ أَنْ أوقِظَ النّاسَ لِلسَّحورِ.»
وَلَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعِ النُّهوضَ.



عِنْدَما رَأَتْ سامِيَةُ والِدَها مُتَأَلِّمًا وَمُنْزَعِجًا عَمِلَتْ لَهُ كوبًا مِنَ الميرامِيَّةِ، ثُمَّ قالَتْ: «اسْتَرِحْ يا أَبَتِ وَلا تَحْزَنْ... أَنا سَأَنوبُ عَنْكَ.»
صاحَ والِدُها بِاسْتِغْرابٍ: «وَلَكِنْ... أَنْتِ فَتاةٌ! كَيْفَ سَتَقومينَ بِذَلِكَ؟»



أَجابَتْ سامِيَةُ بِثِقَةٍ: «أَنا قَوِيَّةٌ وَشُجاعَةٌ كَما رَبَّيْتَني يا والِدي.»

قالَ والِدُها بِقَلَقٍ: «وَلَكِنّي... أَخافُ عَلَيْكِ مِنْ ظَلامِ اللَّيْلِ يا ابْنَتي.»

أَجابَتْ سامِيَةُ: «اطْمَئِنَّ يا أَبَتِ... سَأَحْمِلُ مِصْباحًا يُبَدِّدُ ظَلامَ اللَّيْلِ.»

قالَ والِدُها بِقَلَقٍ أَكْبَرَ: «أَخافُ عَلَيْكِ مِنْ حَيَواناتِ اللَّيْلِ المُفْتَرِسَةِ يا ابْنَتي.»

قالَتْ سامِيَةُ: «اطْمَئِنَّ يا أَبَتِ... كَلْبُنا بَرْقٌ سَيَحْرُسُني.»



قالَ والِدُها بِقَلَقٍ مُتَزايِدٍ: «وَلَكِنّي... أَخافُ عَلَيْكِ أَنْ تَضيعي يا حَبيبَتي.»

ردَّتْ سامِيَةُ: «لا تَخَفْ عَلَيَّ مِنَ الضَّياعِ يا أَبَتِ، سَأَهْتَدي بِنُجومِ السَّماءِ. وَالآنَ أَرْجوكَ... أَرْجوكَ أَنْ تَعُودَ إِلى النَّوْمِ، سَوْفَ أوقِظُ أَهْلَ القَرْيَةِ وَأَعودُ إِلى البَيْتِ لِنَتَسَحَّرَ مَعًا.»

عِنْدَما اقْتَرَبَ وَقْتُ السَّحورِ حَمَلَتْ سامِيَةُ طَبْلَةَ المُسَحِّرِ، وَمِصْباحَ والِدِها لِيُنيرَ طَريقَها، وَنادَتْ عَلى بَرْقٍ لِيَصْحَبَها.

صاحَ والِدُها: «انْتَبِهي لِنَفْسِكِ يا سامِيَةُ. اللّهُ مَعَكِ!»

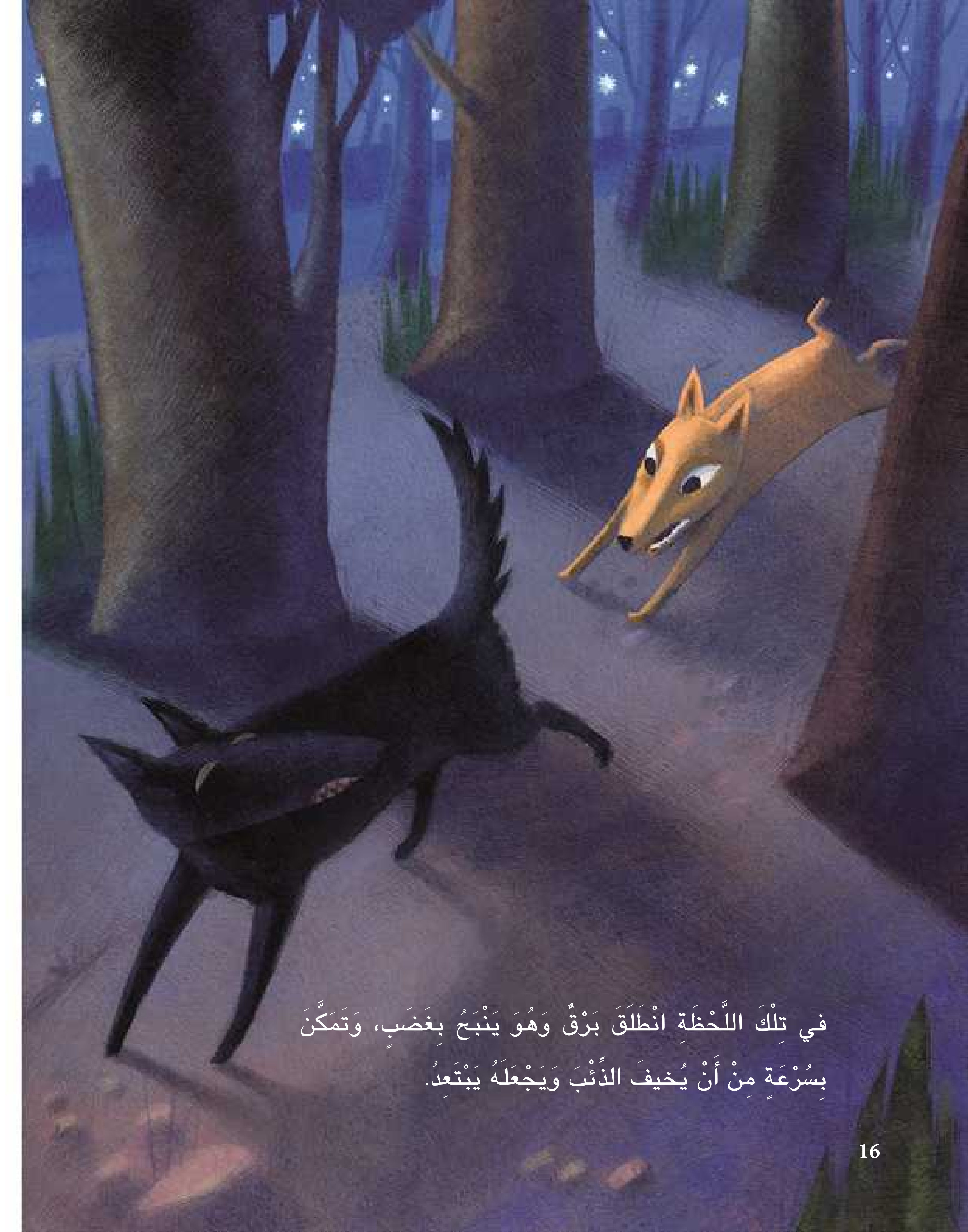




مَشَتْ سامِيَةُ في طَريقٍ وَعِرٍ... فَجْأَةً مِنْ بَيْنِ الأَشْجارِ... رَأَتْ عُيونًا مُثَلَّثَةً تُضِيءُ في الظَّلامِ، وَسَمِعَتْ صَوْتًا مُخيفًا.

حَبَسَتْ سامِيَةُ أَنْفاسَها، وَرَفَعَتِ المِصْباحَ عالِيًا وَهِيَ تَنْظُرُ حَوْلَها بِخَوْفٍ. ما هَذا الصَّوْتُ المُخيفُ؟ لا بُدَّ أَنَّهُ الذِّئْبُ الَّذي أَزْعَجَ أَهْلَ القَرْيَةِ مُؤَخَّرًا وَسَرَقَ خِرافَهُمْ.





فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ انْطَلَقَ بَرْقٌ وَهُوَ يَنْبَحُ بِغَضَبٍ، وَتَمَكَّنَ بِسُرْعَةٍ مِنْ أَنْ يُخيفَ الذِّئْبَ وَيَجْعَلَهُ يَبْتَعِدُ.



قالَتْ سامِيَةُ بِارْتِياحٍ: «إِنَّكَ اسْمٌ عَلى مُسَمًّى يا بَرْقُ! أَبْعَدْتَ الذِّئْبَ عَنْ طَريقي بِسُرْعَةِ البَرْقِ.» هَزَّ بَرْقٌ ذَيْلَهُ وَمَشى بِجانِبِ سامِيَةَ وَهُوَ يَتَلَفَّتُ حَوْلَهُ بِحَذَرٍ وَانْتِباهٍ.

عِنْدَما وَصلَتْ سامِيَةُ إِلى أَوَّلِ بَيْتٍ في القَرْيَةِ، بَدَأَتْ تَدُقُّ عَلى الطَّبْلَةِ كَما عَلَّمَها والِدُها، وَتَصيحُ بِأَعْلى صَوْتِها: «إِصْحى يا نايِمْ... وَحِّدِ الدّايِمْ.»

بُم . . . بُم . . . بُم

وَسَرْعانَ ما أُضِيءَ مِصْباحُ البَيْتِ، وَمَدَّ أَبو حَمْزَةَ رَأْسَهُ مِنَ النّافِذَةِ وَحَوْلَهُ أَفْرادُ عائِلَتِهِ وَهُوَ يَصيحُ قائِلاً: «فَتاةٌ تَدُقُّ الطَّبْلَةَ، وَتوقِظُ النّاسَ! أَيْنَ أَبو سامِيَةَ مُسَحِّرُ قَرْيَتِنا؟»

قالَتْ سامِيَةُ: «يا عَمّي أَبا حَمْزَةَ أَنا سامِيَةُ. أُصيبَ والِدي بِوَعْكَةٍ صِحِّيَّةٍ في مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ، وَعَزَّ عَلَيْهِ أَلّا يَقومَ بِواجِبِهِ؛ فَوَعَدْتُهُ أَنْ أَحِلَّ مَكانَهُ حَتّى يُشْفى.»





قالَ أَبو حَمْزَةَ: «بارَكَ اللّهُ فيكِ يا سامِيَةُ.» ثُمَّ الْتَفَتَ إِلى ابْنِهِ حَمْزَةَ وَقالَ لَهُ: «هَيّا اخْرُجْ مَعَ سامِيَةَ وَساعِدْها.»

صاحَتْ أُخْتاهُ: «نُريدُ أَنْ نَخْرُجَ نَحْنُ أَيْضًا.»

ضَحِكَ أَبو حَمْزَةَ وَقالَ: «**ما المانِعُ**؟ أَسْرِعوا... هَيّا ... هَيّا.»





مَشى الأَطْفالُ مَعَ سامِيَةَ مِنْ بَيْتٍ إِلى آخَرَ، عندَ أَحَدِ البُيوتِ انْضَمَّ إِلَيْهِمْ عُمَرُ الَّذي قالَ: «لا توجَدُ عِنْدي طَبْلَةٌ. هَلْ مِنَ المُمْكِنِ أَنْ أُحْضِرَ مَعي دَفًّا؟»

ابْتَسَمَتْ سامِيَةُ وَقالَتْ: «نَعَمْ ... طَبْعًا... **ما المانِعُ؟**»



وَعِنْدَ بَيْتٍ آخَرَ، انْضَمَّتْ إِلَيْهِمْ فاطِمَةُ الَّتي قالَتْ: «لا توجَدُ عِنْدي طَبْلَةٌ.
هَلْ مِنَ المُمْكِنِ أَنْ أُحْضِرَ مَعي شَبّابَةً.»
صاحَ الجَميعُ وَهُمْ يَضْحَكونَ: «نَعَمْ... طَبْعًا... **ما المانِعُ؟**»





وَعِنْدَما وَصَلوا إِلى بَيْتِ عَدْنانَ قالَ لَهُمْ: «لا توجَدُ عِنْدي طَبْلَةٌ، هَلْ مِنَ المُمْكِنِ أَنْ أُحْضِرَ عودًا؟»

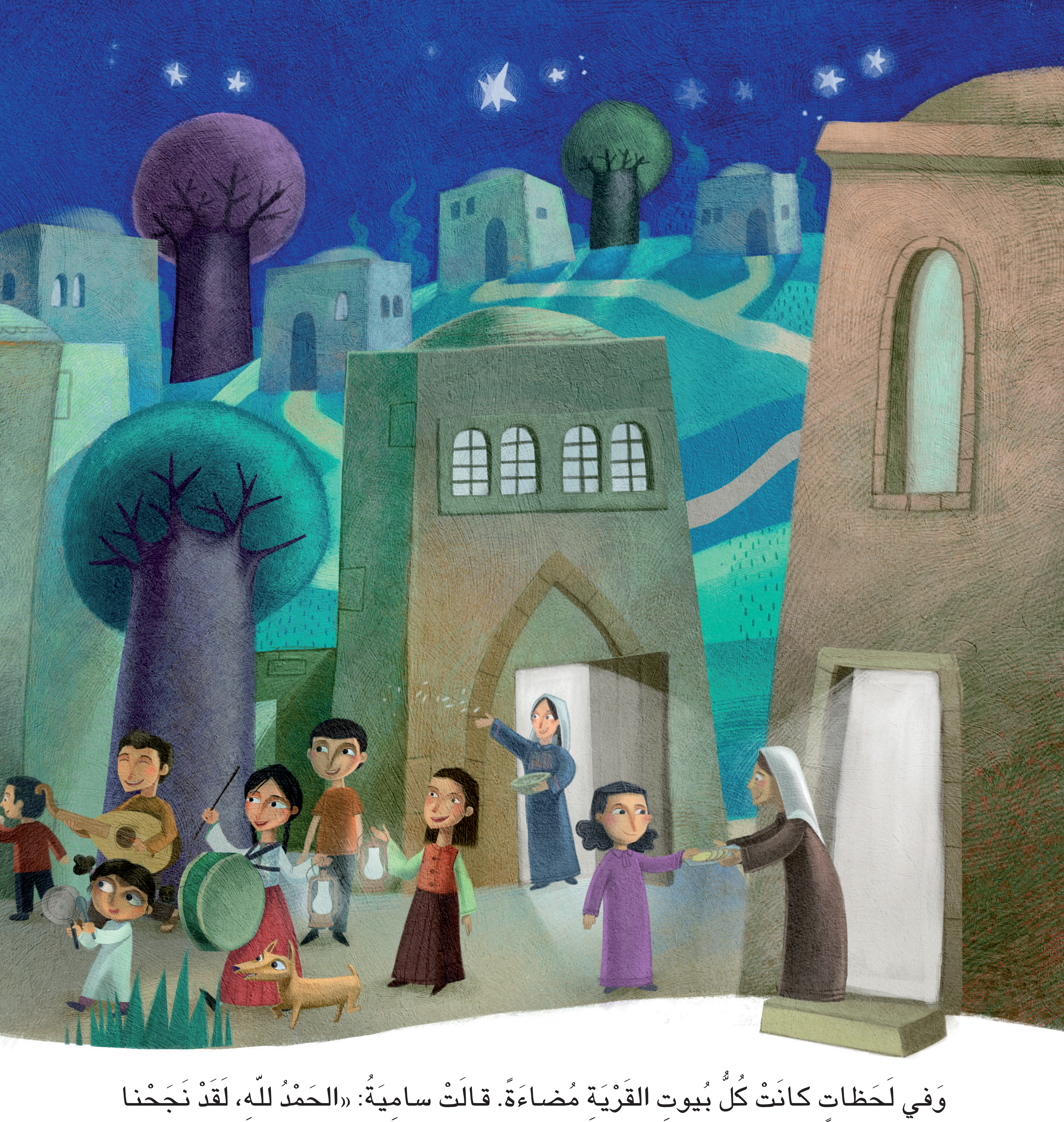
صاحَ الجَميعُ بِصَوْتٍ واحِدٍ: «نَعَمْ... طَبْعًا... **ما المانِعُ؟**»

أَمّا بَهِيَّةُ وَسَميرَةُ وَخَوْلَةُ فَقَدْ أَحْضَرَتْ كُلُّ واحِدَةٍ مِنْهُنَّ قِدْرًا وَمِلْعَقَةً بَدَلاً مِنَ الطَّبْلَةِ. ضَحِكَتْ بَهِيَّةُ وَقالَتْ: «أَصْبَحَ عِنْدَنا فِرْقَةٌ موسيقِيَّةٌ مُتَكامِلَةٌ. لَنْ يَسْتَطيعَ أَحَدٌ أَنْ يَبْقى نائِمًا بَعْدَ الآنَ.»



مَشى الأَطْفالُ في شَوارِعِ القَرْيَةِ الصَّغيرَةِ وَهُمْ يَحْمِلونَ قَناديلَ وَأَدَواتٍ موسيقِيَّةً، وَيَعْزِفونَ وَيُغَنّونَ مَدائِحَ نَبَوِيَّةً يَحْفَظونَها.





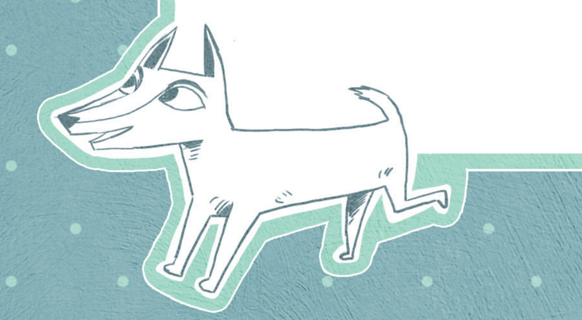
وَفي لَحَظاتٍ كانَتْ كُلُّ بُيوتِ القَرْيَةِ مُضاءَةً. قالَتْ سامِيَةُ: «الحَمْدُ للّهِ، لَقَدْ نَجَحْنا وَأَيْقَظْنا جَميعَ أَهْلِ القَرْيَةِ، هَيّا بِنا نَرْجِعُ إِلى بُيوتِنا حَتّى نَتَسَحَّرَ بِدَوْرِنا.»



وَفي طَريقِ العَوْدَةِ كانَ كُلُّ بابٍ مِنْ بُيوتِ القَرْيَةِ يُفْتَحُ،
وَيُوزِّعُ أَهْلُهُ الأَكْلَ وَالفَطائِرَ وَالحَلْوى عَلى الأَطْفالِ وَهُمْ يَقولونَ:
رَمَضان كَريمٌ... رَمَضان مُبارَكٌ... كُلّ عامٍ وَأَنْتُمْ بِخَيْرٍ!

المسحّر

المسحّر بطبّلّي   طب طب طب طب عالطّبله
يوقّف تحت الشّبّاك   ليله ليله بنده لي
ينادي يا عبدالله   يانايم وحّد الله
يطبطب ع باب الدّار   يفيّقنا كبار وصغار
نفتّح عينينا   نغسّل أيدينا



نتسحّر ونتحلّى نشرب شاي نتسلّى
يقوم البابا يتوضّأ حتّى يصلّي ويترضّى
تقوم الماما معاه تصلّي هي وإيّاه
يودّونا حتّى ننام يغطّونا بالحرام
نصير نحكي وشوشة ونضحك ضحكة فرفشه

كلمات الأغنية: سلمى الماضي



.. النّهاية ..


ماالمانع

منذ ثلاثين عامًا لم يغب والد سامية عن عمله يومًا واحدًا، إلى أن مرض في أحد الأيّام ولم يتمكّن من الخروج لإيقاظ النّاس للسّحور. ولأنّ سامية تعرف جيّدًا مدى حرص والدها على القيام بواجبه، تقرّر أن تحلّ مكانه وتقوم بعمله لليلةٍ واحدةٍ إلى أن تتحسّن حالته.

هل سيقبل والدها بذلك؟ هل ستستطيع فعلا القيام بدور المسحّر؟ وهل سيتقبّل أهل القرية أن تقوم فتاة بدور المسحّر؟

قصّة مؤثرة تتضمّن قِيَمًا كالشّجاعة والتّضامن وتُظهر بعض العادات الأصيلة. ستنقل القارئ إلى قرية «لفتا» الجميلة السّاحرة في فلسطين في ثلاثينيّات القرن العشرين.







ISBN 978 - 9957 - 04 - 072 - 7